قصة قصيرة

الحمامة*

كان مظفر مايزال ممسكا برقبة زوبا الصغيرة. قامت نورينا من فراشها فزعة. ابتعد مظفر عن السرير حالاً، مازالت أصابعه معقوفة. نظرت نورينا القلقة بحدة إلى زوجها. ووثبت فاحتضنت ابنتها، أما زوبا التي خافت من الشجار واستيقظت فقد بدأت تبكي صارخة!

الآن تقف نورينا في جانب السرير محتضنة ابنتها. وفي الجانب الآخر يقف زوجها، ينظر إلى يديه بندم.. يديه اللتين كانتا قبل قليل ممسكتين بخناق زوبا التي في الشهر الرابع من عمرها!! كان للطفلة بقية عمر ستعيشها، وهي مازالت تبكي في حضن أمها، وبدا الهدوء على مظفر

ـ قالت نورينا «بالتأكيد جننت مرة أخرى.. ما الذي يعتريك مرة بعد أخرى؟ عائلتك ليست كبيرة! اشكر الله الذي وهب لنا بنتاً بعد ابنين. ألم تكن تدعو وتتوسل إلى الله قائلاً: يا إلهي هب لنا بنتاً هذه المرة؟! أنت الذي سميتها قبل أن تولد!. لكن الآن.. الآن..!!»

كانت نورينا تبكي بأسىً وتمسح شعر ابنتها بيدها، وهي تخاطب زوجها معاتبة لائمة!

كان مظفر بدأ يتصرف بغرابة من يوم مجيء زوبا إلى الدنيا.

أحياناً كان يحتضن ابنته بحنان لساعات، يضمها إلى صدره باستمرار، وكانت نورينا إذا رأت ذلك تفرح، وتقول:

«ما أكثر محبتك لها! طبعاً، لأنها جاءت بعد أدعيتك.. وأيضاً بعد طفلين..»

وأحياناً كان مظفر تعتريه حالة غريبة بمجرد رؤية زوبا، يتغير لونه فجأة، تضيق أنفاسه، تصطك أسنانه، وأحياناً يصفع زوبا الصغيرة بكفه الضخمة لأنها تبكي بكاءً خفيفاً! ثم لايستطيع تحمل صرخات زوبا المتعالية، فيحتضنها، ويقبلها بشغف!. ويخاطبها يحاول أن ينيمها قائلاً: «طفلتي الحبيبة! هل خفت من أبيك؟! من يخاف من والده ياروحي!؟ أنا نادم!! لن أفعل هذا مرة أخرى، هيا اسكتي يا طفلتي!!»

في الأشهر الأربعة الأولى عاش مظفر عدة حالات عصبية، لكن حالته العصبية هذا اليوم كانت أشدها!

نورينا كانت تضم زوبا إلى حضنها، وتنظر إلى وضع زوجها باهتمام بالغ.

ومظفر كان يقف في الطرف الآخر من السرير يديم النظر إلى يديه دون أن يفهم ماذا حدث!!

كان مظفر عاجزاً عن تجاوز تلك الحالة العصبية. ولأنه لا يمكنه أن يصبر على بكاء طفلته المستمر، وجدت نورينا نفسها تهتدي إلى الحل. فتكومت فوق فراش قريب، وبدأت تبكي بصوت مرتفع، وعندما رأى مظفر بكاء زوجته اقترب منها بهدوء، وقال:

«سامحيني يانورينا! ثقي أنني لا أدرك ما أفعله تماماً! لكن أنت أيضاً لم تسألي يوماً عن سبب ما يحدث.. هيا اسألي هذا اليوم.. لماذا أتصرف هكذا؟!»

قطعت نورينا بكاءها، ونظرت إلى زوجها بارتياب، فتابع مظفر كلامه قائلاً مرة أخرى:

«هيا اسألي.. لماذا وصلت إلى هذا الوضع.. لماذا أتصرف نحو زوبا بهذا الشكل.. لماذا كنت قبل قليل أباً شفيقاً، ثم

بعد قليل انقلب عدواً؟! هيا اسالي!!».

قالت نورينا:

«.. أنت لا تفعل كل هذا عن جهل.. ولادة بنت بالنسبة لك يعني الموت!! تفرح لولادة ابن، ولكنك لا تتحمل بنتاً واحدة فقط! أنت قاتل! الذين يفكرون بالقتل، أيضاً قتلة!!»

تكلمت نورينا في البداية مع زوجها وهي تصرخ. مظفر كان قد هدأ مقابل انفعال نورينا، فسحب ابنته من حضن زوجته، وضمها إلى صدره، وبدأ هو الآخر يبكي مازجاً شهقاته بشهقات ابنته البريئة!

سكنت نورينا مع بكاء مظفر، فاقتربت منه بهدوء، وضعت يدها على كتفه، وقالت:

«.. مظفر! مم تعاني أنت؟! أأنت مريض حقاً؟»

جلس مظفر على الفراش وهو يضم ابنته إلى صدره. كان بكاء الطفلة قد انقطع، واستسلمت في حضن أبيها لنوم عميق. كانت شفتاها ماتزالان مزمومتين في حالة بكاء. مرر مظفر سبابته على شفة الطفلة بكل حنان قبل أن يحول نظراته عن وجه ابنته، وخاطب نورينا قائلاً:

«حبيبتي نورينا! ألست أنا والد زوبا؟.

قالت نورينا: ما معنى هذا الكلام؟! يامظفر! هل أنت عقلك في رأسك؟.

قال مظفر: نعم، عقلي في رأسي الآن! كيف يتصرف أب نحو ولده بهذا الشكل؟. وكما قلت صرت مجنوناً، ولم ينته جنوني تماماً حتى الآن!!

قالت نورينا: أعطني الطفلة! ونم قليلاً.. استرح!

قال مظفر: هل أنا موظف عائد من مكتبه حتى أنام وأستريح؟! ولست عائداً من الحقل، لست متعباً.. فكري وجسمي الآن في غاية الهدوء. أشعر بأن تعبي كله قد زال، تعالي.. أنت أيضاً اجلسي إلى جانبي.. أريد أن أقول شيئاً في غاية الأهمية!!

أخذت نورينا الطفلة من حضنه، ووضعت مسنداً على الفراش، وقالت:

اتكيء على هذا، وتحدث مرتاحاً.

لم يكترث مظفر بتاتاً بالمسند، فقط نظر إلى وجه زوجته من مجلسه، وقال لها:

ـ هل تريدين أن تسمعي؟!

وضعت نورينا الطفلة في سريرها وعادت بسرعة بالغة، وجلست عند رجلي زوجها، وقالت:

ـ لماذا لا أريد أن أسمع؟! هيا تحدث! ماذا ستقول؟!

قال مظفر:

تعرفين أنني كنت أربي الحمام منذ طفولتي، وكل واحد عرفني بهذا، وكنت أهتم بالحمام أكثر من اهتمام أي شخص آخر، كنت مستعداً أن أقاتل من أجل طيوري!!.

توقف مظفر لحظة، احمرت عيناه! بدأ جسمه يرتجف!.

وكانت نورينا تنظر إلى زوجها بحيرة دون أن تعرف ماسيقوله، فتابع مظفر كلامه:

ـ بعد ذلك..! ألا تعرفين ماذا حصل يوماً ما؟! كنت أطلقت حمامي في الجو ليطير، وشفيق كان قد طيّر حمامه أيضاً!.

كانت الحمائم تطير في الجو متقلبة، وكانت بينها حمامة سوداء لي. اختلطت مع حمائم شفيق في ذلك اليوم، ولم تعد ثانية! طلبت من شفيق إعادة حمامتي، ولكنه رفض! فتنازعت مع شفيق، وعيرني الجميع لأن حمامتي ذهبت برغبتها مع حمائم شفيق!! فلا يحق لي المطالبة بها. فعدت إلى منزلي مقهوراً، ولم أنس هذا العدوان! وفي ظهيرة أحد الأيام أمسكت بأخت شفيق زوبا التي كانت في الخامسة من عمرها، وأخذتها قسراً إلى مكان خال.. فخنقتها هناك!! كان موسم السيول فجرفتها المياه وحملتها بعيداً. وهكذا انتقمت لحمامتي من طفلة بريئة!! وزوبا ابنتي أيضاً بريئة، أليس كذلك؟! فلو حاول أحد أن يخطفها، ويقتلها كما فعلت! هل سيتمكن غرور صاحب الحمائم ـ الذي هو أنا ـ من منع ماسيقع؟! تكلمي.. تكلمي يانورينا.. أنت.. أنت...»

كانت نورينا تسمع حديث مظفر مندهشة، قد فتحت فمها وجمدت عيناها تنظر إليه!!

فلما ارتفعت نبرة مظفر، التفتت نورينا إلى الخلف نحو ابنتها النائمة في السرير، وثبت من مكانها فجأة، واختطفت طفلتها مذعورة وهربت نحو الباب حاسرة لا تلوي على شيء.

ـ ـ ـ

■■ هوامش:

* قصة قصيرة للأديبة زيتون بانو، باللغة البشتونية من ولاية سرحد في الباكستان.
نقلها إلى التركية الباي مسعود شيخ أختر.
وترجمت إلى العربية عن مجلة الأدب الإسلامي التركية العدد ٢٦ ص ١٧.

للأديبة الباكستانية: زيتون بانو
ترجمة شمس الدين درمش

قصيدة.. سِفرأيّوب

للشاعر: بدرشاكرالسياب(١)

لك الحمدُ مهما استطالَ البلاءُ
ومهما استبدَّ الألم
لك الحمد إن الرزايا عطاء
وإن المصيبات بعضُ الكرم
ألم تعطني أنتَ هذا الظلام
وأعطيتَني أنت هذا السَّحَر
فهل تشكرُ الأرضُ قَطْرَ المطر
وتغضبُ إنْ لم يَجُدْها الغمام

●●●

شهورٍ طوالٌ وهذي الجراحُ
تُمزِّقُ جَنْبي مثلَ المدى
ولا يهدأ الداءُ عندَ الصَّباح
ولا يمسحُ الليل أوجاعَه بالرَّدى
ولكنَّ أيّوبَ إنْ صاحَ صاح
لك الحمدُ إن الرزايا نَدى
وإنَّ الجراح هدايا الحبيب
أَضمُّ إلى الصدر باقاتها
هداياكَ في خافقي لا تَغيبُ
هداياك مقبولةٌ هاتها

●●●

جميلٌ هو السُّهْدُ أرعى سَماك
بعينيَّ حتى تغيبَ النجوم
ويلمسَ شُبّاكَ داري سَناك
جميلٌ هو الليلُ أصْداءُ بوم
وأبواقُ سَيارة من بعيد
وآهاتُ مرضى وأُمّ تُعيد
أساطيرَ آبائها للوليد
وغاباتُ ليلِ السُّهاد الغُيومُ
تحجبُ وجهَ السَّماء
وتَجْلوه تحتَ القمر
وإن صاحَ أيّوب كان النِّداء
لك الحمدُ يا راميا بالقَدَرْ
ويا كاتباً بعدَ ذاك الشَّفاء

من ثمرات المطابع*

● بدر شاكر السياب

**** اختـرت هذه القصيدة نموذجـاً آخر لتصـور القدر في الشعر العـربي الحديث لأن صاحبها يتميز بميزتين:**

■■ **الأولى:** أنه مـن رواد الحـداثـة في شعرنا العربي المعاصـر، فقد دعا إلى تجديد الشـعر العـربي وتطعيـمه بأدوات فنيـة لم يعرفهـا من قبل، وفي مقدمتـها تجاوز نظام الأوزان الخليليـة والاعـتـمـاد على وحـدة التـفـعـيلة، وقد اسـتطاع ـ مع **نازك الملائكة وعبدالوهاب البياتي وصـلاح عبدالصبور** وعدد من دعـاة هذا الاتجاه أن يشـيع دعوته في الأقطار العـربيـة كلهـا، ومـازالت آثارها تتفاعل حتى اليوم.

■■ **والثانية:** أنه خاض في متاهات كثيرة وتقلب بين الحزب الشيوعي والاتجاه القومي العلمـاني، وتأثر بتصـوراتها ونظم قـصـائد كثيرة تدعو إليها، وكان في ذلك كله بعيداً عن التصورات الإسلامـية.. وفي سنواته الأخيرة أصيب بمرض عـضال كان الجسر الـذي عبر فوقـه إلى الموت، وقـد أحس بدبيب الفناء في جسمه فراح يصرخ ويشكو. ومالبث أن قصد البـاب الذي لم يقف عنده من قـبل.. باب الله الذي لا يغلق، وجـثـا على أعـتـابه يبث عنده همومه ويحكي عن آلامة المبرحة، ويعلق آماله عليـه، على فضله وعطائه، راجـيا، ضـارعا، متسـاميا في شكواه، فتنزاح عنـه التصورات المخـتلطة المضطربة، ويتـألق في القـصـيـدة تصور ناصـع، يشير إلى أن الفطـرة السوية يمكن أن تـبـرز في أي إنـسـان فـي لحظات المحنة، وتنقله إلى الموقع الحقيقي الذي ينبغي أن يقف فيه: موقف المخلوق من الخالق.

والقصـيدة من جهة ثانيـة دعوة لكل أديب شرد بعيداً عن دورب الهدى كي يؤوب إليها، يحمل التـصورات الفطرية السوية، وسيـجد الأبواب مفتوحة للتـوبة والعودة، وسيجد أن وقـفتـه هذه هي الوقـفة الصـادقة، وكل مـا سواهـا باطل. وقصـيدة السـياب ـ كمـا هو واضح ـ مناجـاة لله عزوجل تقـرن الشكوى بالحمـد، وصور الألم بالصبـر والتجلد.. ولا شك أن الحـمـد على البلوى درجـة أعلى من درجة الصبر عليهـا، فللصابر أجر الصابرين، وللحامـد في مثل هذا الموقف أجـر الصابرين وأجر الشاكرين.

ويرتبط الحـمـد على البلـوى بما يمكن أن نسميه «الرؤية الإيمانيـة» وهي رؤية شمولية لا تنحصـر في جزئيـات الحدث، أو نتـائجه المبـاشرة، بل تنطلق مما قـبله، وتمتد إلـى ما بعده وتتحـسس النتائج البعيدة، وتبـصر ما فيها من إيجابيات تطغى على سلبيات النتائج المباشـرة، فترى الفـوائد تفوق مـا تحقق من ألم، وبحساب الربح والخـسارة يتأكد المؤمن أن النتيجة في صالحه، وأن ما هو مصيبة في ظاهره يجر وراءه خـيراً كثيراً، فـهذه الرؤية تطبـيق لقوله تعـالى: ﴿**وعـسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**﴾.(٢)

والمرض الذي وقع فـيـه الشـاعـر بلاء استطال، وألم اسـتبد، ولكـن الرؤية الإيمانية تخـبره أن «الـرزايا عطاء» وأن «المصـيبـات بعض النعم» لأن مصـدر طرفي المعادلة واحد هو المقدر. فالذي قدر الظلمة قدر النور أيضاً،

بقلم: د. عبدالباسط بدر

والذي أمسك الغمام أن يهتن قطره أعطى المطر المدرار. فالله هو المانع المعطي، وموقف الشاعر من عطائه وابتلائه موقف الحمد والشكر.

وإذا تعمقنا ظروف الشاعر، وعودته - بسبب هذا الابتلاء - إلى أبواب الله فهمنا مدلول الرؤية الإيمانية، وسبب اقتران البلاء بالحمد، فهي الفرصة التي شدت الشاعر إلى دروب الهداية وخلصته من المتاهات التي ضرب فيها سنين كثيرة. لذلك يلح في المقطع الثاني على ذكر آلامه ومصيبته، ويلح أيضاً على ذكر تجلده وحمده، ويستحضر اسم نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم، متأسياً بصبره وتضرعه، ويردد الحمد مكان صرخات الألم، ويؤكد أن الجراح التي تمزق جنبه هدايا من حبيب ملك عليه قلبه، وباقات زهر يشدها إلى صدره، لتكون صلة دائمة بينهما فيذكر، ويشكر مع كل خفقة ألم. ومن الحقائق الإسلامية أن مرض المؤمن كفارة لذنوبه، يرفع الله به درجاته ويسقط عنه بعض سيئاته (٣). ومن يتمثل هذا المعنى في محنته، فقد رزق شفافية في روحه وطرفا من إيمان عميق. ويصر الشاعر على أن يعيش القارىء معه بعض ما يعانيه، وتستمر الشكوى في المقطع الثالث، وتنقلب إلى ضراعة تتخفى وراء الرؤية الإيمانية، ويُسرُّ ما يعانيه في ليالي المرض من سهاد وآلام مبرحة، ويحدثنا عن تأملاته في السماء، منذ أن تطلع النجوم إلى أن تنثر الشمس شعاعاتها على شباكه. ولا شك أن تأمل السماء وحركة النجوم فيها يفتح للنفس آفاقاً من الجمال والرهبة، وإذا ارتبطت بالتوجه إلى الله خالق الكون ومدبره تصبح تأملات إيمانية عميقة. وربما يكون إحساس الشاعر بالقرب من الله عز وجل في قربه من الموت والحساب هو الذي يقوده إلى التمعن في كون الله الذي يحيط به، وهو الذي يحول عذاب الأرق إلى تأملات وتسبيحات فيزيد من إحساسه بعظمة الله ورحمته.

وتتابع صور هذا المقطع في تذبذبات متوالية، ونرى إحساس الشاعر بالجمال - في بعض التأملات - غريبا غير مألوف، حيث يسمع من بعيد صوت بوم يردده الصدى. والبوم يرتبط في مخيلة الناس بالخراب والموت؛ لأنه يألف الخرائب دائماً، ويمتزج صوته في أذن الشاعر بأصوات أبواق السيارات البعيدة، وآهات المرضى من حوله، يجمع بينها صفاء الليل وإحساس الشاعر المرهف، فتمتلىء الصورة بالمتنافرات، ثم تقفز قفزة غير منطقية، لتضم في طرفها مشهد أم تحكي، وتعيد حكاياتها لابنها الصغير الذي لا يفقه شيئاً، عسى أن ينتهي أرقه ويستسلم إلى الراحة والنوم العميق.

ويضطرب إحساس الشاعر بالليل، فتتلبد السماء أمامه بالغيوم، ويغيب وجهها خلف السحب الداكنة، وتضيق نفسه، وتمتلئ بهموم المرض وأوجاعه، وتشتد عليه الظلمة ووقع الأصوات المتنافرة، ولكن الرؤية الإيمانية تشعر بأن وجه السماء الذي غاب خلف الغيوم قد تجلى للقمر وصفّا بعيداً عن الهموم والأحزان وأن القمر سيسفر ثانية ينشر الضياء. وهذه الحركة: الإظلام ثم الإضاءة، واحتجاب وجه السماء خلف ليل السهاد والغيوم، ثم انجلاء الغيوم وإسفار السماء بوجه مشرق توقظ حسه وتوجهه نحو الأمل الذي يتعلق به، وتوحي إليه بأن المرض والآلام التي يعانيها ستنجلي، وسيتبعها شفاء يسعده، وهذا الإحساس هو الأمل الباقي لديه.

والشاعر مليء بالثقة في الله، يعبر عن هذه الثقة في تركيبات ثنائية تتوالى في القصيدة لترسم صورة كاملة للقدر والعدل الرحيم، تتألف هذه الثنائية من عنصرين متضادين: الليل والنهار - الظلمة والنور - الجدب والمطر.

فثمة موالاة يتعاقب فيها شيء قاتم وآخر مضيء.. سلبي وإيجابي.. هذه الموالاة تدخل إلى السياب أو يدخل هو فيها.. وعندما وقع في المرض وفق منطق التركيبة الثنائية المتكررة في الحياة لابد أن تنتهي محنته بالشفاء، فالكفتان متعادلتان والنتيجة إيجابية دائماً تجعل القدر عدلاً وخيراً ورحمة...

وتعزز مفهوم الرؤية الإيمانية التي رأيناها في مطلع القصيدة.

وقد أكد الشاعر في البيت الأخير من القصيدة تلك الرؤية فحمد الله الذي قضى عليه قدرُه الابتلاء، وتوقع - بلهجة تنم عن أمل قوي - أن يكتب الشفاء له.

●● وبعد:

فقد حملت القصيدة تصوراً نقيّاً واضحاً للقدر، أخرج رؤية إيمانية عميقة تضم القاتم والمضيء وتجعل المضيء نتيجة حتمية ينتهي بها القاتم، والفرج نهاية مؤكدة للشدة، وهذه نظرة تتجاوز جزئيات الحادثة ونتائجها القريبة إلى مساحة واسعة فيها السابق واللاحق. ولهذه النظرة معطيات كبيرة، فهي تجعل الألم الحاضر تطهيراً للنفس، وفرصة للصبر والشكر تقتضي الحمد والثناء، وتظهر القدر عدلاً ورحمة وحكمة، وتسلم للألوهية بالقدرة المطلقة، فالله خالق كل شيء، وهو المبتلي وهو القادر على أن يهب الشفاء.

وقد نجح الشاعر في أن يبث هذه التصورات عبر سيل شعوري ينبع من عالم الشاعر الداخلي: آلامه النفسية والجسدية، والخارجي: الظلمة والجدب والزحام وأبواق السيارات..

ونجح في الإيحاء بالأبعاد الكبيرة لمحنته عندما اختار اسم نبي الله أيوب عليه السلام ليكون رمزاً لمعاناته، فالرمز يحمل إيحاءات الصبر والتسليم والإنابة، ويستحضر إلى الذهن الصورة القرآنية لقصة هذا النبي، ويضيف إلى القصيدة عنصراً إسلامياً له قيمة عقدية وفنية في آن واحد.

وهكذا يكسب الشعر عندما يحمل ببراعة التصورات الإسلامية قيمة فكرية وفنية عالية.

■■ الهوامش:

* من كتاب قضايا أدبية «رؤية إسلامية» تاليف د. عبدالباسط بدر ص ٥١ - ٥٧، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١ - انظر القصيدة في ديوانه: منزل الأقنان ١٣٦ - ١٣٧، بيروت د. ت.

٢ - سورة البقرة، الآية: ٢١٦

٣ - انظر الأحاديث الواردة في هذا الشأن في صحيح البخاري، كتاب المرض، باب الكفارة، الأحاديث ٥٦٤٠ - ٥٦٤٥ وباب شدة المر الأحاديث ٥٦٤٦ - ٥٦٤٧

من مكتبة الأدب الإسلامي

أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية

تأليف: محمد عادل الهاشمي
عرض: صلاح أحمد الطُّنوبي

● كتاب «أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريّة»، تأليف محمد عادل الهاشمي، يقع في ٣١١ صفحة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، نشر مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء.

بيّن المؤلّفُ في مقدمة الموضوع بواعث اختياره، ومن البواعث: ندرة الأبحاث فيه، وقلّة الرواد في طريقه ولاسيّما في سورية... واختياره هذا يلبي حاجةً أدبية ملحةً في ميدان ثَرّ خصب هو «التيار الإسلامي» ذوالرصيد الضخم في ميدان الفكر والأدب...

وهذا البحث يتناول أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية من واقعة ميسلون (١٩٢٠م) حتى واقعة الجلاء١٩٤٦م، وهي فترة تُمثّل كفاح سورية ضد المستعمر الفرنسي، ابتعث فيها أبناء البلاد روح الجهاد الإسلامي المتوطنة في النفوس، وكان الأدبُ والشعر بخاصة، هادي الأرواح إليها، وملهب العزائم، والداعيَ إلى بذل الروح رخيصةً في سبيل الله..

● والبحث في ستة فصول .. الفصل الأول «**الاتجاه الإسلامي**».. وقد أبرز المؤلّف ملامح الاتجاه في العالم الإسلامي عامة والاتجاه الإسلامي في سورية خاصة.

حيث نشط علماء سورية ودُعاتها في هذه المرحلة لنشر الإسلام وعرضه عرضاً واضحًا عن طريق المؤلّفات والمحاضرات والأحاديث... وشرع السوريون منذ نفضوا عنهم غبار موقعة «ميسلون» في جهاد الاستعمار الفرنسي، يدفعهم إلى ذلك زادُ الإيمان وروح الجهاد ضد الكفرة المستعمرين، دافعين الى المعركة بكلّ إمكاناتهم، مستلهمين عزّة العصور الإسلامية الزّاهرة..

يقولُ **خليل مردم** يستثير في المسلمين غيرتهم الدينية لكتاب الله الذي مزقه الفرنسيون، ولحرمة المساجد التي أحرقوها، وقتلوا المصلين فيها.

في الشام مايدعُ الحليم محمقا
جمحت به خَيْلُ الأناة جماحا
هاضوا جناحيها وخلوا قلبها
غرضًا يَسيلُ من السِّهام جراحا
كم مسجد حرقوا وكم منْ راكع
سالت دماؤهم به ضَحْضاحا
أضحى كتاب اللّه وهو ممزّق
أرجو إليه أسنة وصفاحا
ياغيرة اللّه اغضبي لكتابه
إن قومه لم يبذلوا الأرواحا

وقد كان الاتجاه الإسلامي في سورية بملامحه الأدبية ومناهجه الثقافية ومواكبته لقضايا التحرر في البلاد، رائداً للكثير من الشعراء في سورية عبر هذه المرحلة..

استلهم الشعراء سيرة النبي ﷺ والتاريخ الإسلامي.. واستعرضوا بطولات عظماء الإسلام وومضات من الحضارة الإسلامية..

● والفصل الثاني: «**استلهام السّيرة النبويّة والتاريخ الإسلامي**»

فإذا كانت الأمة ذات تاريخ مجيد، كان من عوامل رقيّها استلهام هذا التاريخ بما فيه من تجارب سياسية وحضارية في رفد النهضة.

وقد عرض المؤلف في هذا الفصل نتائج الشعراء في هذه المستلهمات: النّبي من خلال سيرته.. من وحي التاريخ الإسلامي.. الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي

ومن الشعراء الذين برزوا في هذا المجال **عمر أبو ريشة وأحمد مظهر العظمة وأمجد الطرابلسي وعدنان خليل مردم.**

● الفصل الثالث: «**في موضوعات الفكر الإسلامي**»، وقد عقد لهذا الفصل موضوعين رئيسين ـ وذلك من خلال نتائج الشعراء السوريين وتجاربهم الوجدانية: العقيدة والشعر الإلهي.. والإسلام ورسالته وممن برزوا في هذا الاتجاة **جميل سلطان.**

● الفصل الرابع: «**قضايا الحياة المعاصرة في ضوء الإسلام**» ومن هذه القضايا الجهاد ضد الفرنسيين والبناء وإصلاح المجتمع ومن شعراء هذا الاتجاه **هشام دياب وخالد الخطيب.**

الفصل الخامس: «**الآفاق الجمالية والوجدانية**»، وهذه الآفاق في الطبيعة والجمال.. **وخليل مردم** من الشعراء الكلفين بآفاق الفن والجمال قد أصفاها نفسه وشعوره.

● الفصل السادس: «**نظرات فنية**».. نظرات في المضمون، ونظرات في الشكل، مصدر الأثر الإسلامي .

ولقد تأثر الشعراء السوريون بالقرآن الكريم معاني وألفاظاً وتراكيب، وكان تأثرهم يتناسب مع طبيعة الموضوع والغرض، وعمق تجربة الشاعر، ومدى تفاعله مع الثقافة الإسلامية والقيم الإسلامية .

● والجديد في البحث: أنّه أول بحث أدبي أرّخ للاتجاه الإسلامي في سورية، وأوضح حاجة الأمة إلى الدين وأول بحث في سورية انتظم معظم التيار الإسلامي في الشعر.. وعني بدراسة مواقف الشعراء في سورية من الإسلام دعوة وطريق حياة.. وكشف عن نتاج شعري انتثر بين الكتب والدوريات..

الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام

للدكتور شوقي عبدالحليم حمادة

عرض د. عمر عبدالرحمن الساريسي

يمكن قسمة هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ توضيح ماهية الصدق الفني

٢ ـ عرض موقف الأدب في عصر الرسول عليه السلام، وعصر الراشدين من الناحية الفنية والأخلاقية

٣ ـ مناقشة بعض الأفكار المتعلقة بهذا الموضوع

١ ـ معنى الصدق الفني:

يعرض المؤلف لمعنى الصدق الفني كما ورد على ألسنة النقاد والمحدثين. **فالآمدي** يقول: «الشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صادقاً» ص ٣١.

وابن رشيق يقول: «إن من فضائل الشعر أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن فيه» ص ٣١.

ويناقش عبدالقاهر الجرجاني القولين المشهورين: خير الشعر أكذبه وأعذب الشعر أصدقه، ويفضل الثاني، ويتوسط بين **الآمدي وابن رشيق** ويؤثر «الصدق الأخلاقي غير محدد الأهداف» ص ٣٢.

ويلخص المؤلف آراء النقاد القدامى فيقول: «الصدق الفني هو أصالة الكاتب والشاعر في تعبيره ورجوعه فيه إلى ذات نفسه، لا إلى العبارات التقليدية المحفوظة» (ص ١٩).

أما النقاد المحدثون فهم يجمعون على الصدق الفني فحسب، ومن هؤلاء **محمد النويهي وسيد قطب ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم..** وغيرهم.

٢ ـ في أدب عصر صدر الإسلام:

يربط المؤلف بين الصدق الفني في الإبداع وبين الإسلام باعتباره عقيدة ربانية لم تحجر النشاطات الفنية. «فعلاقة الفن بالدين قديمة، في أماكن العبادة لدى الأغريق وغيرهم من الأمم القديمة» (ص ٦٢)، «لأن الأدب لم ينفصل عن العقيدة منذ وجد الإنسان. وكل منهما وسيلة نظيفة لغاية نبيلة، ومنبتهما متحد وهو الفطرة البشرية» ص (٤٩ ـ ٥٠).

وآية ذلك أن من مميزات الأدب في عصر صدر الإسلام اهتمامه بالأمور الجادة والحكمة والإرشاد وهجره للمعاني الساقطة والأغراض السيئة كالهجاء البذيء والغزل الفاحش، ثم بروز المعاني الإسلامية بديلاً عنها.

وهذا التحول في الفكر إلى الغائية الإسلامية بدا في الشعر والنثر والخطب موجهاً لمنفعة الناس جميعاً في أنحاء المجتمع الإسلامي المترامية، وهذا نابع من موقف الإسلام من الإبداع بأنواعه المختلفة.

«فالقرآن لم يحظر الشعر ولم يقف دونه، ولكنه نزه نفسه عن أن يكون شعراً، ورفع رسوله عن أن يكون شاعراً، وفرّق بين شعر وشعر وشعراء وشعراء» ص ٧٥.

وهذا رسول الله ﷺ يقول للأنصار: **ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟** فيقول **حسان** أنا لها، وذكر فضله على الشعراء (ص ٧٩).

ولقد كان الشعر في عصر الرسول عليه السلام، يصور مايحدث بين المسلمين وأعدائهم في ميدان القتال، ويدافع عن مبادىء الإسلام وتعاليمه، ويرثي القتلى من المجاهدين الأبطال ويهجو المشركين (ص ١١٨).

وكانت الخطب في عصر الراشدين، كذلك، تحقق الصدق الفني والأخلاقي بصورة دقيقة وفعالة (ص ١٢٣)

وسار الشعر في عصر الراشدين كسيرته في عصر الرسول ملتزماً بالصدق الأخلاقي مبتعداً عما نهى الله تعالى عنه بعاطفة صادقة معبراً عما يحدث في المجتمع دون غلو (ص ٨٣٨).

وبذلك يكون قد جمع بين الصدق الفني والصدق الأخلاقي.

٣ ـ أفكار ذات علاقة بالموضوع:

وقد يلفت انتباه القارىء بعض الأفكار الجانبية في الكتاب:

أولاها: أنه على الرغم من اعتباره قولة **القاضي الجرجاني** حول الدين والشعر مثلاً على الصدق الفني فإنه يعتبرها في النهاية مجافية لروح الأدب الإسلامي في تأثير العقيدة في الشعر (ص ٧٦).

وأخراها: أنه يقارن بين الواقعية في المذاهب الأدبية الغربية الحديثة والواقعية في فهم الأدب الإسلامي، ويرى أن الواقعية الإسلامية تجمع بين الصدق الفني والأخلاقي أما الأولى فإنها تفصل بينهما (ص ١٥٠).

والأخيرة: تتصل بأن النقد للأدب الإسلامي يقبل المبالغة في الشعر ولا يرفضها مالم تزيف الحقائق ولم تصور غير الواقع ولم توهم الباطل، وهي بذلك تخدم الصدق الفني (ص ١٦١).